

١٣٢٧

بيروت غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٧ = الموافق ١٩ حزيران سنة ١٩٠٩

الحكم العرفي

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يُقتَّلوا او يُصلَّبوا او تُقطَّع ايديهم وارجلهم من خلافٍ او يُنفَوا من الارض، ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم »
(قرآن كريم)

متى بدا الشر في البلاد وانتشرت فيها الفوضى تضعف سلطة الحكومة وتخور قواها وتقلُّ هيبتها من القلوب مهما كانت هيبتها وقوتها وسلطتها عظيمة ، فتقع في الحيرة وتحوطها الدهشة ، ذلك لان الحكومة تكون اذ ذاك مقيَّدة بقوانين لا تجاوزها، ومقصورة على انظمة لا تتعداها ، فلو ارادت ان تسير في طريق تأديب العصاة والجناة في ايام الفوضى سيرها في ايام السكينة لطال الامر ، بل ربما كان ذلك داعياً لاستطالة الاشرار علَى الاخيار ، وباعثاً لتملص كثير من اهل الفتن ان ينالهم الجزاء ، اما بالهرب او لقصور القوانين او لملل الهيئة الحاكمة من كثرة المجرمين وطول الزمان اللازم لمحاكمتهم ، فضلاً عن ان ذلك يدعو لعدم النظر فيما يحدث من القضايا والجرائم او لتأجيله ، وهو امر يضرُّ بالدولة والامة معاً

لذلك وضعت الحكومة ما يسمونه بالحكم العرفي او العسكري ليستأصلوا شأفات المجرمين و يقطعوا دابر القوم الظالمين ، وهـذا الحكم مخالف للمعروف من الانظمة والقوانين التي تعمل بها الدول ايام استتباب الامن وسيادة السكينة على البلاد والعباد وهو مفيد جداً عند سيادة الفوضى وثوران ثائرة الجناة واهل الرجعى لانه يطهر البلاد من جراثيم الفساد ومكاريب الجنايات ، ويقضي في القريب العاجل عَلَى الثائرين الذين يريدون بالبلاد شرًا من سلب ونهب وقتل النفوس الطاهرة وهدر الدماء البريئة لمآرب ذاتي او لارجاع سلطة مستبدّ ظالم

فالحكومات جمعاء ترجع الى هذا الحكم متى ثارت الثائرة وعلمت ان الحكم بالقوانين المشهورة لا يقمعها . غير ان الحكومات في ذلك عَلَى قسمين :

قسم ينشر الاحكام العرفية لتأييد السلطة الاستبدادية و يحارب الشعب و يقضي على حريته وعواطفه بهذا الحكم حتى يستأصل من يقدر عليهم من طلاب الاصلاح وروّاد الحرية ، فهو يتخذ الحكم العرفي احبولةً يصطاد بها من هو معروف بالمبادئ القومية الصادقة والميل الى جعل الدولة دستورية حرة ، و يغتال من يكره الظلم واهله و يبغض الاستبداد وذويه ، ومن هذا القسم الدولة الروسية والدولة الفارسية وهما اقرب عهداً في ذلك الحكم من غيرهما ، فقـد اسالا دماء بريئة وقضيا على نفوس طاهرة لا تحصى بسبب الحكم العرفي الذى اتخذتاه ذريعة لمآربهما الفاسدة وغايتهما السافلة ، فقتل من جراء ذلك كثير من احرار الامتين وطُلاَّب الاصلاح فيهما

وقسم ينشر الاحكام العرفية لابادة الاستبداد والمستبدين ، واهلاك الظالمين والفسادين ، واستئصال احوال الطغاة والمجرمين ، والقضاء على اهل الرجعى وانصار الظالمين ، المعروفين اليوم بالمتقهقرين ، فنشر هـذه الاحكام بين هؤلاء الزعانف الطاغين ، ودُعاة الحكم المطلق الرجعيين ، حسنة من حسنات الحكام العادلين ، ان لم يظهر فضلها عند البعض اليوم فسيظهر بعد حين

مثل الفسادين والمتهقرين مثل اغصان الاشجار التي تذوي وتيبس فان تركت وشأنها دون ان تشذب او تقطع فلا يمضي على ذلك ردح من الزمن حتى تصير اغصان الشجرة الصالحة كلها ذاوية ذابلة ، فان قطعت الاغصان اليابسة قبل ان يسري مرضها الى سائر الفروع بقيت الشجرة حية وظلت اغصانها سالمة تؤتي أكلها في اوقاتها بل ينبت مكان تلك الفروع العايلة فروع صالحة نامية تزيد في رونق الشجرة وتكثر من ثمارها

او هم كمثل الجسم وقد ظهرت في بعض اعضائه بثور او مرض عضال لا ينجع فيه الا البتر ، فلو بقيت تلك الاعضاء لتعدى ضررها الى غيرها وربما كان ابقاؤها وسيلة لابادة الجسم كله

وهكذا جسم الامة ان ظهر فيه قوم اوباش مجرمون ، او طائفة فسادية متهقرة تشايع المستبدين ، وتجاري الظالمين ، فان أُهملت هذه الفرقة وتركت وشأنها تعيث في الارض الفساد ، وتضرم نيران الفتن وتطغي البسطاء من القوم وتستميلهم لنصرة مبدائها الفاسد حتى تجعلهم ردأً امامها ومجناً تتقي به الكوارث — فهناك الطامة الكبرى والحادثة العظمى ، وان وراء هذا الاهمال خراب البلاد وهلاك العباد ، وموت الرجال ويتم العيال . اما اذا تأثرتهم الحكومات وقضت عليهم القضاء المبرم فتبقى البلاد في مأمن من فسادهم وفي منجاة من قيام غيرهم بمثل اعمالهم المنكرة

ان الحكومات الاستبدادية لا تعمل بالاحكام العرفية الا اذا وافقت مصلحتها دون مصلحة الامة والوطن وكان بها القضاء على مريدي الاصلاح كما قدمنا ، والحكومات التي تنشر هـذه الاحكام مراعاة للمصلحة العامة او المصلحة المرسلة « كما يقول علماء الاصول » هي الحكومات الدستورية العادلة ، ولا تكون الحكومة دستورية الا اذا كان القائمون باعبائها احراراً مجردين عن كل غاية شخصية ، يسعون للنفع العام ولو اضرّ ذلك بمصلحة انفسهم ، فان كان رجال الحكومة كذلك فتسمى دستورية حقاً اما ان أعلن فيها الدستور واقرّ صاحب السلطة على تطبيق اعمال الحكومة عليه مكرهاً

وكانت الرجال المطالبة بتنفيذ هذه القوانين وادارتها على المحور القانوني كارهين لذلك ويتمنون ان لا يكون – فليست الحكومة اذاً دستورية حقاً ، وانما هي مطلقة في صورة المقيدة ، وهذا هو الشأن في حكومتنا بعد اعلان القانون الاساسي في الرابع والعشرين من تموز ، فانها صارت حكومةً دستورية ولكنَّ ذلك كان ظاهراً لا باطناً وقالباً لا قلباً ، لان اكثر من هم معروفون بمبادئهم الفاسدة ومُيولهم الاستبدادية بقوا جالسين على منصة الحكم وفوق كراسي الامر والنهي ، ولم تُطهَّر منهم دوائر الحكومة ، غير انهم كانوا يتظاهرون بالميل الى الحرية والجمعية الاتحادية مخلصة الوطن ويلعنون الاستبداد والمستبدين ، وما يلعنون الا انفسهم لو كانوا فاقهين ، لذلك رأيتهم اشدَّ المتقهقرين فرحاً بسقوط جمعية الاتحاد والترقي وفوز الجمعية الفسادية باديءَ ذي بدأة وقد تبرَّؤا من الجمعية الاتحادية ورجالها ، ومن كل من هو معروف حتى في الدور المظلم بمبادئه الحرة ووجدانه الطاهر ، غير ان تلك الغيمة ما لبثت ان انجلت لانها ليست الا كسحابة صيف ، فعند ذلك سُقط في ايدي هؤلاء الرجعيين ، وفُتَّ في عضدهم المكين ، فاصبحوا وما لهم من ناصرين

اصبحوا وكل نفرٍ خائف وجل ، خصوصاً بعد ان علموا أن البلاد لابدَّ ان تطهر من امثالهم ، وتباد جراثيم اهل الرجعى حتى لا يبقى لها اثر ، لتصير البلاد نظيفة من كل مرض او جرثومة تحدث مرضاً او المًا في جسم المجتمع العثماني . صار كل واحدٍ من دُعاة الحكم المطلق واعداء الاتحاد والترقي مترقباً اليوم الذي يُقبض فيه عليه ، والساعة التي ينفى فيها من الارض والحين الذي يُعقد فيه الحبل على عنقه فلا يُفكّ حتى تخرج من جثمانه تلك الروح الخبيثة التي أبت أن تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من احسن اليها

وقد ازداد خوفهم ونما فَرَقهم بعد ان أُعلنت الاحكام العرفية التي تستأصل جذور الفساد وتقطع دابر اهله وتقضي على المعطلين بازهاق ارواحهم ومصادرة

اموالهم وسجنهم ونفيهم، كلٌ على مقدار الجرم الذي اقترفه. وقد قُضي الامر وتحقق ما كانوا منه خائفين ، وجرى ما كنا نتمنى حصوله منذ أُعلن القانون الأساسي، فقد اجمع العقلاء الاحرار بعد الفوز باعلاء راية الدستور في الرابع والعشرين من تموز على ان اجراء الاحكام العرفية وخلع عبد الحميد هما اعظم وسيلة لتثبيت دعائم الدستور واركان الحرية ،ولكن كل ذلك لم يكن نفقد جرت الجمعية على قاعدة التسامح وتناسي ما مضى، وذلك خطأ كبير قد ارتكبته الجمعية ،وقد ادركت ذلك بعد أن حصلت حادثة ٣١ من مارت الاخيرة :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

ولما كان العاقل لا يُصاب من سوء مرتين كان اول عمل عمله قائد جيش الدستور واقرَّ عليه قواد فيالق الشورى ان خلعوا السلطان الجائر الطاغي الحانث بيمينه والعابث بالشريعة المطهرة والدائس برجليه على القوانين ، ثم نشرهم للاحكام العرفية وشنقهم رؤساء الثورة في استانة وطلبهم رؤساءها في غيرها من البلاد العثمانية لينالوا شرَّ ما جنته ايديهم ، ويبوؤا بالخسران المبين والعذاب الأليم

ان يألم جسم الامة اليوم ببتر هذه الاعضاء الفاسدة منه فسوف يرى راحة عظيمة وحياة طيبة بعد حين ، كما يرتاح الجثمان بعد قطع عضوه الفاسد وان تألم اثر انفصاله

ان الذي يألم من ابادة هذه الجراثيم والحشرات هو احد رجلين : رجلٍ رجعيٍّ باع وجدانه في سبيل غايته الفاسدة فليس ألمه لقتل هؤلاء الزعانف ،وانما ألم لسقوطه بسقوط ولي نعمته المخلوع وهبوط دولته المستبدة،او رجل جاهل بسيط رقيق الشعور لايدري لفائدة هذه الاحكام وابادة هؤلاء الطغام معنى ، وهو معذور في ذلك، غير انه لابدَّ ان يعرف معنى هذه الاعمال العادلة ، ويدرك مغزى تطهير البلاد من تلك الحيوانات الضارية والحشرات السامَّة

واللوم كل اللوم على قوم يدعون انهم قدوة الامة وفيهم نفر من الصحافيين ينحون باللائمة على جيش الشورى وخلعه عبد الحميد وشنقه رجاله الخائنين واحزابه

الرجعيين ، ويكتبون في ذلك الرسائل الطويلة الاذيال الدالة على ماانطوت عليه قلوبهم من الفساد ووجدانهم من الخبث — قاموا وقعدوا لخلع سلطان جائر اهلك الامة وهدم اركان الوطن تلقاء شهواته الاستبدادية واوهامه الجنونية ، وهم يعلمون حق العلم أن كل مادة من المواد التي استند عليها شيخ الاسلام في فتوى الخلع كافية لقتل الرجل وتمزيق جسمه كل ممزّق لا لخلعه فقط ، ولكنه الغرض النفسي والاصفر الرنان يدفعان المرء السافل للمجاهرة بخلاف ما يضمره القلب و يقرُّ عليه الوجدان ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الحكم العرفي في نظر الشريعة الغراء

يتوهم بعض البسطاء من الناس باغراء اولئك الزعانف الذين يبيعون وجدانهم ودينهم بدراهم معدودة أن الحكم العرفي مخالف للشريعة المطهرة ، وقد كتبت جريدة المؤيد الساقطة فصلاً انتقدت فيه اعمال جيش الشورى وقضاءه على الرجعيين وشنقه بعض المنتسبين للعلم الديني من الصفطاء و بعض الذين عاثوا في الارض الفساد في تلك الفتنة المشؤومة ، وتعلق في انتقاده هذا بحبال الدين ليوهم العامة ان هذا العمل ليس من الدين في شيء فيثير بذلك خواطرهم و يهيج ثائرتهم ، ولكن من يعلم ان صاحب المؤيد (علي يوسف) كان جاسوساً في الدور الماضي وكان يتقاضى على ذلك ما الله به عليم من الليرات الوافرة في كل عام ، ومن يعلم انه قد قُطع عنه ذلك المرتب بعد سقوط دولة الاستبداد ، ومن يعلم انه مشترى بمال عزت الخائن ، ومن يعلم ان اكثر اسهم المؤيد ابتاعها عزت هذا بعد ان صار شركةً ، من يعلم كل هذا يتحقق ان صاحب المؤيد (علي يوسف) انما كتب ما كتب ويكتب ما سيكتب من امثال هذه الاضاليل والخرافات عن الحكومة الدستورية والجمعية الاتحادية انما هو لمآربه الذاتية وحباً بالاصفر الرنان ، الذي باع لاجله المروءة والدين والوجدان

ان الشريعة المطهرة ما أُنزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام الا لتطهير الارض من الفساد ، واصلاح النفوس التي تلوثت بحمأة الاخلاق الفاسدة ، واوضار التقاليد والعادات الضارة ، واوساخ الاعمال الهمجية التي لو دامت لقضت القضاء المبرم على كثير من الامم

كيف تمنع شريعة هذا شأنها من حكم عادل يطهر الارض ويقمع الفساد ويمحق اهل الظلم ويقضي على كل جبار عنيد ، ويحفظ لكل انسان حقه ، ويجعل الناس في مأمن من عيث العائثين ، وفساد المعطّلين ويساوي في الحقوق بين الناس اجمعين

يقول الفقهاء من المالكية : « يجوز ابادة الثلثين لاصلاح الثلث » ان كان في ذلك مصلحة للامة وتخليص لها من براثن المعتدين وجراثيم اهل الفساد ، فان كان يجوز قتل ثلثي الامة لاصلاح الثلث الباقي فكيف لايجوز لجيش الشورى شنق رجال معلومين من اهل الفساد والرجعى لاصلاح امة باسرها ، لعمري لايقول بعدم جواز ذلك الا جاهل غمر لا يدري للدين معنى ، ولا يعرف للسياسة مغزى ، او رجل متقهقر يقول مايقول ويكتب مايكتب بدافع الرشوة وسائق المال الفتان كصاحب المؤيد المنافق ومن نحا نحوه من الفساديين الذين لا يرقبون في الحق والعدل واصلاح الامة والوطن إلاً ولا ذمة

كأن شيخ المؤيد الضلّيل ، ومن قصد قصده من اهل الاضاليل ، الذين يستحقون ان تُرسل عليهم طير « ابابيل » ترميهم بحجارة من سجيل ، فتجعلهم كعصف مأكول ، يتعامون عن مثل هذه الاحكام ، الصادرة عن فقهاء الامة الأعلام ، فان لم يطلعوا عليها أفلم ينظروا في القرآن الكريم ، وما ورد في حق هؤلاء الزعانف من التعاليم ، بلى انهم كل ذلك يعلمون ، ولكنهم عنها متعامون ، وفي غير الافساد لا يشتغلون ، وسوى الدرهم والدينار لايطلبون ، ولو هلك بسبب ذلك الناس اجمعون

قال الله تعالى في حق هؤلاء الفساديين : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يُقتَّلوا او يُصلَّبوا او تُقطَّع ايديهم وارجلهم من خلاف

او ينفوا من الارض ، ذلك خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم »

واية محاربة لله اعظم من محاربة دينه وتمزيق كتبه وهدم ركن الشورى التي امر بها في كتابه ؟ واية جناية على رسوله اعظم من مخالفة الدين الذي جاء به والقضاء على النفوس البريئة وهدر الدماء الطاهرة ؟ الا وان هذه الآية الكريمة هي مستند جيش الشورى في الاعمال العادلة التي يجرونها ، وهي الدليل الناصع على جواز الحكم العرفي الذي تعمد اليه الحكومة في قصاص الثائرين والعائثين في الارض الفساد.

ولو لم يكن هناك دليل شرعي عَلَى جواز هذا الحكم فان العلماء ذكروا على ان للحاكم ان يعمل ما فيه المصلحة للأُمة ، والمصلحة اليوم باستئصال هؤلاء الفسادبين وقطع دابر المتقهقرين ، لان فيه مصلحة عظيمة لايدركها الا محب الحق العامل على خدمة الامة والوطن

فليرجع الرجعيون عن اضاليلهم ، وليثب اولئك البسطاء الى رشدهم ، فقد وضح الحق لذي عينين ، وما ذا وراء الحق الا الضلال

نشأة الانقلاب العثماني

ان كان الانقلاب العثماني في الرابع والعشرين من تموز قد قلب ظاهر الدولة واستبدل بها دولة دستورية فان الانقلاب الاخير قد قلب قَلْب الدولة وغير اوضاعها واستبدل برأسها الفاسد رأساً يرجى ان يكون صالحاً مفكراً فيما يعود الوطن بالرفعة والرقي في معارج المدنية الحق والاصلاح الصحيح . وقد كتب الكاتبون في اسباب هذا الانقلاب فمنهم المصيب ومنهم من قارب الحزّ ولم يجرِ من الصواب على عرْق ومنهم من لم يعرف عن حقيقته شيئاً فهو يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء

وقد اطلعنا على مقالة نشرها الكاتب العثماني الحر خليل خالد بك في مجلة القرن التاسع عشر وما بعده وترجمتها بالعربية مجلة المباحث ، وفيها من الحقائق الواضحة والفوائد الجليلة ما يجدر بكل عثماني أن يطلع عليه ، فقد حوت من الآراء الصائبة اسدّها ، ومن الافكار الحرة انورها، ولذلك احببنا نشرها ليطلع على ماحوته قراء النبراس، قال :

ان الارتياب باستمرار الحكم الدستوري في البلاد العثمانية كالشك ببقاء السلطنة نائلةً تمام استقلالها، لان الرجعة الى الاستبداد القديم مدرجة للفتن الداخلية التي تزعزع اركان السلطنة . ولقد كانت الدول العظمى ضامنة لسلامة الدولة في طورها الماضي، لكنّ تلك الضمانة الخارجية كانت الى الصورة اقرب منهـا الى الحقيقة ، ولذلك لم تكن صيانة الملك به علَى اتمها ، اذ وقع انسلاخ بعض اجزاء السلطنة عنها، اما سلامة الدولة الدستورية لهذا اليوم فقائمة بعامل آخر الا وهو الأمة العثمانية نفسها ، اذ اصبحت متحمسةً اشد الحماس بما صار اليها من الرأي في ادارة وطنها

وثمت عاملٌ آخر اكثر اهميةً اريد به منهج الجيش العثماني ، وحسبك بشهرته الماعاً الى شدة بأسه وقوّة مراسه على الذب عن زماره ، ومن الغنيّ عن البيان ان هذا الجيش الباسل هو الذي انال الأمة العثمانية ما تتمتع به الآن من نعمة الدستور ، وكثيرون من امراء هذا الجيش وضباطه ورجاله قد اقسموا يمين الامانة للدستور وانهم ولا ريب مستعدون لصيانة الحقوق الدستورية برهفات سيوفهم ، ويردون عنهـا كل اعتداء سواء كان خارجياً او داخلياً

ومن الخطاء الفاضح ان يُطلق على الجيش العثماني الدستوري قول من قال انه جند جمعية الاتحاد والترقي ، ذلك لان الجمعية نفسها انما يحميها الجيش وهي القيّمة على الدستور الحديث النشأة تحتاط على حفظه بملء عنايتها ، وتراقب احكام سيره وتنفيذ سننه في كل ما ليس من مصلحة الجيش الاهتمام به

لا جرم ان بين اعضاء الجمعية كثيرين من رجال الجيش ، ولكنني اعتقد انه لما

برح هؤلاء النفر المخلصون لوطنهم والمنزهون عن الغرض مركز الجمعية قياماً بواجب خدمتهم العسكرية يومئذٍ خلا الجو لبعض الاعضاء الملكيين فتناسوا ان للجمعية صفةً وطنية انتحلتها منذ اعلان الدستور، وشرعوا يعملون كما عملوا منذ سنين ايام كانت الجمعية ثورويةً ، ذلك انهم كانوا يعدلون الى الانتقام الشديد بدلاً من السلوك بالتؤدة والرفق فادّى ذلك الى مقابلتهم بمثل شدتهم او اشد عنفاً، وكانت النتيجة ان لحق بسمعة الجمعية وبهرجتها حيف في العاصمة ، والذنب في ذلك علَى بضعة من النافذين ممن لا يعرفون الرفق وحسن الادارة . اعتبر ذلك بما كان من ان الناس الذين ينتظرون الاصلاح بعد اعلان الدستور ولا عبرة بسداد رأيهم او خطاء انتظارهم ، فانهم كانوا يتوقعون احقاق حقوقهم من الجمعية بصفتها هيئة مستشارة تسعف القوة الاجرائية وهذه مؤلفة من موظفين تربّوا على الادارة المستبدة القديمة

ولما رجع رجال تركيا الفتاة من المنفى حُسب بعضهم احداثاً لا يصلحون للخدمة ، وحُسب آخرون اغراراً لم يختبروا المصالح فأُهملوا ولم يُعهد اليهم بمصالح ذات شان مع انهم اسعفتهم الجمعية ، اما الموظفون الكبار في الحكومة الاجرائية فانهم لم يكونوا ليأتوا بالعجائب في اعمالهم فافضى الى يأس كثيرين من الناس والى تألب جماعة من الذين خابت آمالهم اذ لم يعاضوا شيئاً عن شقائهم الماضي ولا تمت لهم اماني نفوسهم ورغائبهم من قِبَل قوم قلبوا الحكومة الافرادية الماضية .

وكان رجال التقهقر ينظرون فاغتنموا هذه الفرصة السانحة بوجود قوم لم يرضهم الحال ، الا ان تأليف جمعية جديدة لمعاكسة جمعية الاتحاد والترقي لم يكن لينال قبولاً لدى سكان العاصمة العثمانية لولا ان برز للوجود بعض رجال تعلموا المناهج الفرنساوية وفيهم جماعة من ذوي المبادئ السلمية ، فتألبوا وعقدوا جمعية سياسية وكان اهم القائمين بامرها الامير صباح الدين ابن شقيقة السلطان . وقد كان سبق له ان اقام في فرنسا منفياً سنوات جمة كان خلالها لا يفتر عن مناهضه استبداد خاله . ولكنه لم يرضَ ان

يسعى في نجاة وطنه وهو عضو بسيط في لجنة الاصلاح العثمانية التي كان مركزها في باريز — ولاغرو فانه اميرٌ تربى على الاستبداد في قصور الامراء ، فلم يكن يرضى الا ان يستأثر بادارة حركة الاصلاح في ظاهر سلطنة خاله ، بيد ان حداثة سنه وقلة خبرته بشؤون الدنيا حالا دون ما اراد من الرآسة على المصلحين ، ولقد كان هذا الامير اسعد حالاً من غيره من مناهضي الاستبداد لانه كان يحرز في بعض الاحايين مبالغ من المال تكفيهِ في نشر آرائهِ ضد السلطان ٠ وقد فاز باقتناع بعض شبان تركيا الفتاة المبعدين فاتبعوه وقالوا بقوله ، ومثلهم بعض الارمن واليونان من الذين يقولون بفصل الجنسيات فانهم اغتروا بمواعيده من السعي لاوطانهم باستقلالها الداخلي عند ما يتسنى له احراز المقام عقيب انقلاب الدور الحميدي

الا ان مبدأ البرنس صباح الدين لا يمكن ان ينال الاّ القليل من الاثر في البلاد العثمانية ٠ بينما ان خطة الاتحاد والترقي قائمة على دعائم سلامة السلطنة العثمانية ووحدتها وبها فازت بعد جهاد اعوام طويلة باسقاط ظلم المابين ٠ فلما تأيدت الحرية عاد الامير صباح الدين الى البلاد كما عاد غيره من المغرّبين السياسيين فرأت الجمعية ان تجتنب اسباب التفرقة والانشقاق في زمن ترى الامة فيه باشد الحاجة للوئام والاتحاد توصلاً لغرضها من الاتفاق على تجديد شبابها بعد ان اناخ عليها الظلم والجور طويلا — رأت الجمعية ذلك فدعت الامير للانضمام اليها فلبى صباح الدين دعوتها ودخل في مصافها ومعه رجلان من حزبهِ السياسي احدهما من اخصاء مالي شهير معروف المكانة في اوروبا ، ولما دخلوها اقسموا الايمان المغلظة على العمل بدستورها واتباع منهاجها ولكنهم ما عتم ان رأوا أنه يستحيل عليهم ان ينالوا في الجمعية سيادةً او ينتهي اليهم امرها فخرجوا منها

يومئـذ تألف حزب سياسي جديد نال معونة الامير وتلقب ذووه بالاحرار واطلق عليهم الاروبيون الراضون عنهم اسم الاتحاد الحر ، وصار من اعضائهِ سعيد باشا ابن الصدر السابق كامل باشا معانه اشتهر باعماله السيئة في الدور الماضي ، وكذلك

انضم اليهِ اسماعيل كمال بك الالباني وهو من اتباع مبداء صباح الدين في فصل الاجناس وغيرهما من الرجال الذين لم يجدوا لهم مقاماً بين الاتحاديين

وفوق هذا فان كثيرين من كبار الموظفين الذين ظهرت عليهم امارات الميل لحزب التقهقر عند ما بدأت ثورة الغوغاء كانوا يميلون لمبادئ الدستور حسبما يفسرها الحزب الحر

ولما انتشرت آراء هذا الحزب دخلت آذان اليونان بلا استئذان لانها ضربت لهم على اوتار اليونانية التي يتخيلونها فنهض نوابهم وثارت صحفهم تعضد الاحرار ومبادئهم ·

وقادة هذا الحزب يعرفون كيف يستميلون الكثيرين من الاجانب الذين ازدحموا على العاصمة يريدون ان ينالوا شيئاً من الامتياز لاستثمار منافعها ، فكانوا يمنونهم بالوعود انهُ اذا انتهت السلطة اليهم أنالوهم ما يرغبون فيه · واغرب من هذا ان بعض هؤلاء الاحرار اظهروا انفسهم ميالين للسياسة الانكليزية فاغترَّ بهم بعض مراسلي الصحف البريطانية وشرعوا يعضدونهم بملءِ جهدهم ، مع انهُ لم يبرح من اذهان القراء بعد ان تلك الصحف الانكليزية التي ناصبت الاتحاديين وشددت عليهم النكير ورمتهم باحراز سلطة غير مشروعة هي نفسها كانت تثني الثناء المستطاب على خطة زعماء الاتحاد والترقي ومبادئهم الحرة ، حتى انها اذاعت بين الملا قول مراسليها عن اولئك الزعماء انهم الاحرار الصادقون الواعدون ابناء العناصر العثمانية بان ينالوا حقوقاً متساوية يتاح بها لكل منهم ان يرقى في سلم النجاح والرقي في جنسيته ، بينما كانوا يقولون عن شبان تركيا الفتاة الدخيلين على الاتحاديين انهم عشاق المبادئ التركية يريدون ان يجروا في سياستهم على مناهجها الضيقة

ولهذا استغرب الناس ان يقوم هؤلاء المراسلون ويناهضوا الاتحاديين وينصحوا لهم ان يحلوا جمعيتهم ، سيما وان ماقالوه كان في ذات الحين الذى اصدرت فيه حكومة جلالة ملك بريطانيا كتابها الازرق ناشرة فيه الرسائل المنبئة عن عمل جمعية الاتحاد والترقي وفيها الثناء العاطر على تلك الاعمال

ومما يذكر أنَّ باعلان الحرية بدأت في البلاد العثمانية حركة ادبية غريبة في بابها، حتى انه لم يكن يمر الاسبوع حتى تُنشأ احدي الصحف ، فشرعت الصحافة السياسية في باديء الامر تثني على اعمال الاتحاديين ، فلما تالف حزب الاحرار نشأت خمس جرائد اوست كلها يومية وبدأت تناهض صحيفتين من صحف الاتحاديين ولسانِ حال جمعيتهم، ولم يكن بين الناس من يعلم من اين يتأتى لحزب المعارضين احراز المال اللازم لنفقات صحفه ، علَى انهم فكروا بذلك لان مبيع الصحف اليومي في البلاد العثمانية ليس بالامر المهم فهو لا يفي ببعض النفقات ، ولم يكن في واحدة من تلك الجرائد اكثر من ست اعلانات فلا ريب اذاً أن عُمالَ التقهقر كانوا يساعدون تلك الصحف المعارضة ، وفوق هذا فاني أُحجم عن بيان فكري من ان يداً أعلى من حزب التقهقر كانت تمد المعارضين بالمال

فانجهت من جراء هذا حرب الاقلام على جمعية الاتحاد والترقي وحمل عليها المعارضون حملةً شديدة ، ومن ثم ناهضوا وزارة حسين حلمي باشا واشبعوا كليهما طعناً وسباباً ، لاجرم ان هذا المنهاج في الصحافة دخيل علَى العثمانيين كأنهم اخذوه عن الغرب حيث يسمونه بالصحافة الصفراء ، على اني كنت كلما جاءتني صحف الاستانة وبدأت اطالع فيها تلك المذام والمطاعن فاضرب بها عرض الحائط وانبذها ، ولئن آتِ عن آخر مطالعتي ذلك لاني كنت اراها تروي اخبار الجمعية واعمالها محرفة مبتورة ثم تندفع عليها بالملام والطعن ، وهي فى خلال ذلك تصوّب مطاعنها للحكومة وتحاول زعزعة اركان سلطتها ، وانما كانت الصحف هذي تتعرض للوزارة لانها نشأت من المبعوثان واحرزت فيه قوة ميئتي صوت يخالفها ثمانية ليس الاّ

ومثل هذه الحملات الصحافية لا تعدم تأثيراً عظيماً بين قوم بسطاء العقول لا عهد لهم سابق بمناهج الصحافة الحرة . ولقد كان لجريدة اقدام السبق في المطاعن وتشديد النكير ، لانها صحيفة كانت لسان حال المابين في الدور الماضي وقد تولى تحريرها لهذا العهد رجل متقلب الرأي ، ولقد ساءني ان مراسل احدى الصحف

اللندنية عظّم شأن هذا الرجل المتقلب مع انه كان من جمله الذين تُلقى على عاتقهم تبعة الحوادث الاخيرة ، حتى اذا دنا جيش سالونيك من العاصمة فروا جميعهم هاربين فاصبح كل رجال تركيا الفتاة يعتبرون هؤلاء الشاغبين خونة ، واني لأخشى ان يجيء هؤلاء الى انكلترا ويظهروا لملائها غيرتهم الوطنية الكاذبة فيستميلوا الافكار اليهم

ومن الغني عن البيان ان الصحف القائمة بنصرة الاتحاديين والتي هي لسان حال جمعيتهم كانت اثناء الحرب القلمية تزود عنهم وعن الوزارة الحلمية وترد غارات المعارضين ، فرأى المفكرون المشاهدون الذين لم تعمه الاغراض بصائرهم ان وراء الاكمة شقاقاً في الامة ومصاباً فادحاً ، اما انا فمن ظني ان المتقهقرين لم يكونوا قادرين على احداث الشغب الاخير لو لم يكن ثمت يد حزب الاحرار تنجدهم سراً وجهراً ، نعم يقال ان الاحزاب السياسية ضرورية لاجراء احكام الدستور على حقها ، ولكنني ما كنت لاعتقد ان حزب الاحرار وقد نشأ على غير المنهاج المألوف ونما وازدهر بملء السرعة وجرى على خطة عرفناها يستطيع ان يعمل خيراً ، ولو لم تكن الوزارة الحلمية قد لقيت تلك المعارضة واحتملت مايضيمها لما وقع الحيف الاعظم الا وهو الفتك بالارمن وهم قوم أكثر الناس نفعاً للأمة واشدهم تمسكاً بالوطنية

على ان الحرب التي اشهرها حزب الاحرار الخالي من المبدأ ومن الوطنية على جمعية الاتحاد والترقي قصد استئصالها لم ينتج الا نتيجة واحدة هي اعادة التقهقر ولكن الى حين قصير ، لان الجمعية حشدت قواها فصارت اشد حولاً واكثر قدرة على حفظ الدستور ، وهي عاقدة عزمها الأكيد على اتخاذ اشد الصرامة القانونية ضد مثيري الشغب ، ويخال لي ان الهاربين منهم سيحكم عليهم غياباً باشد العقوبات ، حتى انه لا تنجع التوصية بهم خيراً ، ولا يستطاع ان يعامل بالرفق واللين قوم هم خونة لاوطانهم عملوا فيها ما لو ارتكبوا بعضه في بلاد اخرى لم يجدوا لهم رحمةً ولا حناناً

اما سياسة جمعية الاتحاد والترقي في المستقبل فهي ان تحصر همها في المراقبة

والحيطة حتى يصبح الدستور وطيد الاركان يدفع عن نفسهِ طواريء العدى . ولسوف يقبض اركان الجيش الدستوري على ادارة الجمعية فلا يتركونها لرجال الملكية تماماً لان المستتيرين من كماة الجيش العثماني قد اظهروا من الحكمة السياسية والحنكة ما قصَّر عنه بعض رجال الملكية الذين يتحمسون فيتهورون . واذا ساد العنصر العسكريّ في الجمعية لا اخشى ان ينتهي الى آمرٍ مطلق DICTATOR لاني اعهد بالضباط المتعلمين انهم اقل ايغالاً في الانانية واكثر حباً للوطن من كل اصناف العثمانيين ، وكلهم عارف بمركز البلاد وحرج الموقف ازاء السياسة الخارجية

اما وقد فاز الدستوريون في الاستانة فقد اثمرت المساعي ثمراً شهياً ، ذلك ان اقتلع الظافرون جراثيم الرجعة والتقهقر . والامثولة التي ألقاها الجيش الحر في العاصمة على الذين ارادوا بالدستور شراً علمت جهال الامة حتى الى اقصى الولايات الاسيوية ان ينبذوا ظهرياً ما كانوا يستمعون ويعون من اقوال المتقهقرين الشاغبين . وفوق هذا فان المستقبل يجلو لكل سلطانٍ يتولى الاريكة العثمانية انه اذا شاء احترام سلطته يتجنب مثل السياسة التي اتبعها السلطان السابق عبد الحميد افندي ، ولسوف يعلم ان السلطان الدستوري ينال نفوذاً عظيماً يتوطن به السلام والألفة بين العثمانيين المسلمين وغير المسلمين

على ان المصاعب الداخلية التي ألفاها المصلحون ليست من المعضلات التي لا تُغلب كما زعم بعض رجال السياسة . ومن ثمَّ فلا بدَّ من نشوء بعض احزاب سياسية ونبوغ رجال ومن ان ينفرد كل حزب لوحده ، ولكن ستكون المنازعات دائرةً على محور مصالح الوطن مهما احتدم فيها الجدال

والسلطنة العثمانية معرضة لكثير من المخاطر الخارجية فاي حزب عمل كما عمل حزب الاحرار الذين يُعتبرون الآن خونةً لوطنهم فانه يستثير الاتحاديين لمقاومته ويستنهض الجيش العثماني للغضب عليه ويحمل قسماً عظيماً من الامة على مقاومته ولومه

«النبراس» : يذكر القراء انا صرحنا بكثير من هذه الحقائق في العددين الثالث والرابع قبل ان تشب نار الفتنة وفي العدد الخامس بعد ان وقعت الواقعة . وقد ظهر كل ذلك ظهور الشمس في رابعة النهار . وجاءت مقالة خليل خالد بك مؤيدة لقولنا . وبطل قول من اتهمنا بمشايعة الاتحاديين ضد حزب الاحرار عن غير روية منا . فقد وضح الصبح وانجلت ظلمة الاحزاب الفسادية . وانتصر الحق على الباطل . والعاقبة للمتقين

الناس باخلاقهم

خطاب لعارف بك النكدي القاه في بعض الحفلات الادبية

عجبت هند كيف اصبو الى ميّ — ومن ميّ ما زكا الاعراق
وهي عطل ما زانها قطُّ حلي لا ولا عسجد ولا اوراق
وتركت اللائي ملكن اللآلي والبهنَّ تُتلع الاعناق
فتضاحكت ثم قلت وبي من ذا الذي قد سمعته اشفاق
كل هذا يا هند يفنى وميٌّ حسبها من جمالها الاخلاق

ليس جمال المرء الحقيقي بثوبه ولا بنسبه ، ولا هو في تأليف اعضاء البدن والوجه ، وانما هو في تأليف قوى النفس ، فالثوب يبلى ، والنسب لا يسرع بمن فسدت اخلاقه ، والجمال دولة ثم تنقضي ، ولكن الاخلاق بردة لا تُخلق جدّتها الايام وجوهر يخلص في كل مكان وزمان

اذا ارسل احدنا نظره قصيًّا ، وتفحص الامم تفحص المنتقد البصير ، رأى ان الملوك لم تُثلُّ عروشها ، والشعوب لم تدُلْ دولها ، ولا ذهبت حضارتها وتمدنها الا بذهاب اخلاقها ، وان ما كان للسلاطين والأمراء من المال والسطوة والحشم لم يقم مقام الاخلاق ، ولا دفعت عنهم احداث الزمن ، وان من ارتقى من العامة لم ينهض به الى منازل السيادة ومجالس الرئاسة الا اخلاقه

قد يبهر صاحب المال جاره ، و يستميل ذو الجمال جليسه ، ولكن اذا لم يكن وراء ذلك من الاخلاق ما يزكي المال و يضيف الى الجمال الزائل الجمال الثابت لا يلبث ان يسبب المال لصاحبه الامتهان، و يقود الجمال صاحبه الى مهاوي الفساد والضلال ، فيفتضح امرهما ، فالمال والجمال لا يصلحان بلا الاخلاق وان صلحتْ هذه بدونهما

وهل ينفع الفتيانَ حسنُ وجوههم اذا كانت الاخلاق غير حسان

قال « سولون » حكيم اليونان لرجل غني عيَّره بالفقر : ما لُك ياهذا ان أعطيت منه نقص ، ومالي وان وهبتُ منه كل يوم لا ينقص . ورأى آخر سقراط في كساء خَلق متمزق ، فتعجب منه وجعل يقول : اهذا واضع ناموس الضلالة ؟ فقال له : ايها الرجل ليس علة ناموس الحق الكساء الجديد

ولا مدعاة للاسهاب في هذا الموضوع ، فالشواهد جمة يضيق دون ذكر اليسير منها طوال الساعات ، ولكنني ذاكر هذا الشاهد لمن لا ينظرون الى الانسان الاَّ لمجرد اثوابه و يحكمون عليه تبعاً لظواهره ، علَّهم يرون به حجة دامغة و برهاناً قاطعا

كان الخلفاء الراشدون مع مالهم من بعيد الصيت وطيب الاحدوثة يلبسون المرقعات ويمتطون النعلات ، وحكامنا اليوم تكاد تحجبهم عن عيوننا الاحجار الكريمة والذهب ، ولقــد شرَّفت مع ذلك اخلاق اولئك ملابسهم ولم ترفع ملابس هؤلاء من اخلاقهم

ولم ارَ كالاخلاق أماًّ مذاقها فحلو واما وجهها فجميل

وجل ما يجب ان نسعى وراءه ونحن في مستهل عصر جديد اصلاح الاخلاق وهو متوقف على تربيتي البيت والمدرسة ، فالاولى من واجبات المرأة والثانية من واجبات الرجل ، وها انا موجّه لكل منهما كلمة لا أرى صلاحاً بدون اتباعهما

لقد كنتنَّ حتى الامس ايتها السيدات ترضعن ابناء كنَّ افاويق التعصب الديني فيشب الفرد منا وملء صدره الحمية الدينية ، و يقضي عليه وجدانه ان يرى ما سوى

التعصب باطلاً ، ويحتقر كل من لا يدين بدينه — المسلم لا يقرّ بشاعرية غير المسلم ، والمسيحي لا يعترف بمقدرة طبيب غير مسيحي ، والمؤلف المسلم يؤلف للمسلمين والكاتب المسيحي يكتب للمسيحيين ، ولم ينحصر هذا التعصب الوخيم بين المسلمين والمسيحيين ، بل قام من كل من هذين الدينين مذاهب وطرائق متعددة تحاسدُ وتباغضُ وتقاتلُ ، كل هذا اسسته التربية البيتية يوم كان الطفل وهو في المهد ينام على صوت امه وهي تنشده اغنيات يتجسم فيها التعصب واي تجسم ، يوم كانت الام تجعل لابنها كل من لم يكن من دينه وحشاً ضارياً وشيطاناً جهنمياً — لا نلومكنّ ايتها السيدات على هذه التربية في الزمن الماضي يوم كانت العصبية قائمة بالدين ، يوم لم يكن للمرء ناصر الا ابن دينه ، ولكنا نلومكن اذا ظللتن عليها اليوم ، فانها اصبحت مفسدة للاخلاق مضيعة للوطنية

يجب ان تربين اولادكنَّ اليوم على مكارم الاخلاق ، على نبذ التعصب ، على ترك الشقاق ، علَى الاتحاد ، وعلى الاخص على التساهل والتسامح ، ان تعلمنه ان السعيد من حسنت اخلاقه لا اثوابه والشقي من ساءت اخلاقه لا احواله ، أيعلَّم الصبي

انما العقل اساس فوقه الاخلاق سورُ
وحليُّ العقل بالعلم — والاَّ فهو بورُ

ولتعلَّم الصبية

ان المليحة من تزين حليَّها لا من غدت بحليّها تتزين

اما انتم ايها السادة فما عساني ان اقوله لكم ؟ — لم اقصد بقولي ان التربية المدرسية متعلقة بكم ان تذهبوا بانفسكم لتهذيب الاحداث وتعليمهم ، ولكني اردت ان توجدوا لهم مدرسة صادقة ، وانتم ان لم توجودوها المسؤولون

المعاهد العلمية التي اطلبها معاهد صحيحة الوطنيـة توحّد بين القلوب المفترقة وتجمع بين الافكار المختلفة وتصلح الاخلاق الفاسدة

لئن كان اساس التعصب الديني التربية البيتية فان اسواره التربية المدرسية ،

فالمدارس التي بين اظهرنا لمآرب في النفس لا تريدنا الاّ متعصبين

لقد خفت عند مانسبت التعصب الى التربية البيتية ان يكون هنا من الاوانس من سمعن والعهد غير بعيد في مدرسة انشئت لتهذيب اخلاق فتياتنا ذلك الواعظ المتدفق فمه بالسب والشتم تدفق السيل، الحامل بكلامه الحملات الشعواء ، الفاحص برجله المنبر حنقاً وغيظاً — لا تظنن ّ ان حدة الرجل كانت على المتقهقرين المستبدين ،او على الظالمين المرتشين، لا فالواعظ كان يرغي و يزبد على اقوام يخالفونه بالطريقة الدينية بعض المخالفة ، يعبدون الله كما يعبده ، ولكنهم يصلون بكتبهم وهو لا يرضى الاّ ان يصلوا بكتابه

افتأملون بعد هذا ان تروا من هذه المدرسة اللهم الا ماندر والنادر لا يقاس عليه امهات ٍ تهذب اخلاق رجال المستقبل والوطن على حسب ما يقتضيه العصر ؟

ولكن من نرجو ايها السادة في هذه الحالة ، والقادرون منكم على المساعدة لا يمدون منهم الى المشروعات الادبية يداً الاّ افراداً قلائل لا يتجاوزون عدد الانامل والبقية قوم الهاهم عن الآداب واصلاح الاخلاق ما الهاهم

لو قلنا لهم : اننا في حاجة الى « ترباتون » او الى مرقص او انّ قوة باريس ضيقة الجدران لا تسع جمهوراً كبيراً فيلزم ان نبني اكبر منها لانهالت علينا الاموال من كل حدب وصوب وكان الرجل من سبق رفدُه وعده

من هنا نتبين اقدار القوم ونعرف ان الناس باخلاقهم ، فذلك الواعظ لم يرفع من قدره شرف ثوبه وهذا المثري لم يكسبه فخراً امتلاء جيبه ما زال الا الاخلاق لهما

فالغني ايها السادة والسيدات غني الاخلاق والفقير فقيرها والجميل جميلها

ليس الجمال لانف ٍ صح مارنه ... انف العزيز بقطع العز يُجتدع

فعلينا باصلاح الاخلاق اذا اردنا البقاء والرقي والمحافظة عليها اشد المحافظة ، وان نصونها عن الضياع والاّ ذهبنا بذهابها

وانما الامم الاخلاق ما بقيت ... فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

الانسان في الربيع

بقلم كاهن ارثوذكسي فاضل

ما اشهاك يا ربيع وما ابهاك يا غزالة

في صباح الربيع ينجلي الكون على انغام الموسيقى الشجية التي ترسلها الطيور في الهواء فتنطبع على صفحات الاثير وتتخلل طبقات الفلك الاعلى الى سماء اللانهاية حيث تنضم الى اصوات الملائكة المرنمين التسابيح الشكرية لخالق الربيع وفالق الصباح ...

في صباح الربيع تنشر الغزالة اشعتها الذهبية على الادواح فتنحني لها رؤوس الافنان لتحييها تحية الصديق المشتاق ، وتتفتح اكمام الزهر لتبتسم لها ابتسامة الرضيع الى امه .. وتتلألأ بهادر ر الندى الجميلة بما يُعير اللآلئ الفريدة رواء وسناء .. وتتلاعب نسمات السحر تلك المروج الزاهرة فتعطر الكون باريجها الذكي ..

في الربيع تلبس الرياض والاشجار حللها السندسية احتفالاً بعيد الربيع الكبير محيي آثارها ومجدد نخارها . فترقص الغصون والافنان رقصة قلب الكئيب وقد عاده موضوع آماله بَعد بُعد الشقة وطول الفراق ...

في الربيع ينجلي عن الصدر الصدأ فتبتهج النفوس وتقرُّ العيون .. فتسرح الظباء وتمرح المها وتنزاح عن النفوس طبقات الظلمة التي غشيتها بعضها فوق بعض ...

في الربيع تنساب الانهر والسواقي اللؤلؤية بين الخمائل الخضراء وهي بين معوجّ ومستقيم شأن الانسان في كل الفصول .. فتغمر الاصول وتضم قامات الزهور وتلثم وجنات الورود وتحيي الفنن القائم يختال بنحره وزهره وترسل اليها كلها حياة فتجدد الزهور اطباقها والغصون اوراقها وتتيه كلها بالحياة الجديدة كما يتيه الشاب في ايام شبابه ...

سُئلت ابنة اعرابية عما تراه افضل كل شيء فقالت : ربيع دائم وحياة خالدة .

*****

في صباح يوم من الربيع بدالي ان ازور صديقي الكاتب الاصلاحي .... فالقيت نظرة على منضدته التي يجلس عليها للكتابة ، فشاقني ترتيبها وأعجبت بالزهور الربيعية المحيطة بالتماثيل القائمة عليها، وتاقت النفس الى ممالأة اليراع واستعادة ولائه لكتابة هذه الكلمة الربيعية التي اخالها تنفح من اطلع عليها شذى اعطر من العطر واطيب من الطيب اذا وقعت لديه موقعاً حسنا ...

في الربيع تمتلي الاوردة والاوعية الشعرية بدم الصبا فترتسم على المحيا آية الشباب .. وفيه تتورد الوجنتان وتبرق العينان ويشتد الادراك وتتوفر وسائل الغيرة والشجاعة والاقدام على الاعمال الوطنية العظيمة ، وتسهل الصناعة على اربابها فلا يشكو العامل تعباً ولا القارئ الكاتب حسراً ولا الناظم الناثر مللاً ...

الانسان في الربيع او على رأي البديعيين الربيع في الانسان يجعله زهرة عطرة ذات الوان جميلة تشوق الناظر وتسبي الخاطر .. فهو يسهل الصعاب ويذلل الشعاب . ويطرح على الحياة ابهى وشاح .. فالحياة كلها في هذا الربيع والربيع كله في هذه الحياة ..

فما احلى الحياة ايها الانسان ولكن اذا صُرفت بما يُرضي الخالق الحكيم ويحفظ كرامة المخلوق . هذه وحدها الحياة وماسواها موت ولو البسها الربيع جلابيب الحياة . فكلما تزهو الاغصان في الربيع هكذا يجب ان يزهو الربيع في الانسان ، وكما تحمل الغصون الثمار وتعانق بعضها بعضاً رمزاً الى الألفة والمسالمة والتعاضد لانها ابناء شجرة واحدة ، هكذا يجب على الانسان ان يسالم ابناء جلدته ويحبهم ويسعى جهده في رفع منار الألفة

وعلى الناس جميعهم مهما اختلفت مذاهبهم وتباينت مشاربهم ان يعيشوا متآخين متساهلين متعاضدين لانهم ابناء طينة واحدة والكبير الكبير فيهم من يخدم الانسانية والوطنية بكل ما لديه من القوة المادية والادبية ...

*****

كثيرون هم الشبان الأُلى يميسون باثواب الربيع وقدملأت اجسامهم دماء الصبا يختالون كالظاوي فلا يهتمون الا بمأكلهم ومشربهم وبأن تكون ملابسهم حديثة العهد وعلى الزي الاخير واحذيتهم صقيلة لامعة واوطابهم ملآنة بالاصفر الرنان لينفقوها في سبيل شهواتهم، فلا يفتكرون بالوالدين ولا يلتفتون الى الانسانية المسكينة كانهم ليسوا من ابنائها.. او انهم بعيدون عنها بعد الهواية عن السماء. فلا يذكرون قول الكتاب المقدس: «لا تكن بين شرّيبي الخمر بين المتلفين اجسادهم لان السكير والمسرف يفتقران» امثال ٢٢ : ٢٠

وقليلون هم الشبان الذين يقومون بواجباتهم نحو خالقهم وذويهم واوطانهم..

— فآه ما احلى وما امرّ..

ما احلى الشاب المتصف بالعفاف والوداعة والاهلية والمسالمة والعدالة والجد في سبيل المصالح الوطنية خدمة لمجد الله وخير القريب...

وما امرّ الشاب المتخلق بالكبرياء والادعاء الباطل وفساد الذوق والاستبداد والتعصب الذميم الجادّ في سبيل المنكرات.. الموقع الشر باخيه.. المتحامل على آله وذويه.. المالئ الكون فظاظة وعتواً... المستجلب عليه سخط الله ومقت الناس، فما اتعس هذا الربيع وما امرّ هذه الحياة.. ان امثال هذا الشاب هم اغصان معوّجة فلا تُقوّم الا بالمثال الصالح والنصح والارشاد.. فاحذروا ايها الشبان من محاباة الوجوه في الحكم فقد ورد في امثال سليمان الحكيم: «من يقول للشرير انت صدّيق تسبه العامة تلعنه الشعوب»

روى حديث خرافة اليونان عن فولكان *Vulcain* آله النار أن اباه «جوبيتير» استشاط غيظاً من بشاعة سحنته يوم وضعته امه فرمى به من السماء الى الجحيم فسقط وانكسرت رجله وكان ذليلاً مهاناً. فالشبان الذين يسعون في اطفاء تلك الجذوة الربيعية الممنوحة لهم من الخالق الحكيم فيعرّضون ربيع حياتهم لحرّ سموم الشهوات والملذات الجسدية او يقصّرون عمر شعلة الصبا باطالة السهر... ومداومة السمر.. جديرون

«ان لم يرعووا عن غيهم» بان تخلعهم الانسانية من جسمها كما خلعت المستبدين وثلّت عروش الظالمين الى وهدة الشقاء حيث يندمون ندم البغاة العتاة ولات ساعة مندم ٠٠

قال الجامعة : اذكر خالقك في ايام شبابك قبل ان تاتي ايام الشر او تجيء السنون اذ تقول ليس لي فيها سرور » ٢ : ١ ٠٠٠ فكم هم الشبان الأُلى يقومون بهذا الواجب المقدس فيذكرون الخالق بالشكر على نعماه و يرفعون الصلوات الى عرشه الاسمى ليواصل لهم الخيرات والبركات ٠٠ اجل قليلون هم الذين يسألونه الرفق بآلهم وان يدرأ عنهم كوارث الزمن ٠٠ فما اشقى حياة الشاب المنصرف بكليته الى تتميم رغائب نفسه مجرداً عن كل صِفة انسانية ، ذلك ولو مشى على رجلين فانه اقرب الى الوحوش منه الى الانسان ٠٠

«فنبراس» منير حياة الشاب المتلهب غيرةً على الآداب والفضيلة وشهم «مصطفى» القائم بالواجبات الوطنية الذي يحلم بخير وطنه وقريبه وينجرح قلبه لذكر الشقاء البشري فيرأف باخيه في الوطنية ويسعى ما استطاع في سبيل رقي الوطن وفلاحه ٠٠ ذلك الشاب الذي تدمع مقلتاه حنواً على المعوزين المساكين وترقص جوارحه ابتهاجاً بنجاح الآخرين علماً منه بانهم اخوانه في الجبلة واعوانه على المراقي الادبية

*****

فما تقدم يتبين لكم ايها المتمتعون بنعمة الدستور ان الانسان في الحياة إن هو الا زهرة واعماله اريجها ٠٠ فالزهرة غير الجيدة الشذى تُطرح خارجاً وتُجمع مع الهشيم ، بينما ان الورود وامثالها تحلّ مكاناً رفيعاً ، فتضم الى الصدور وتوضع على الرؤوس وقد لا تحسد رفيع شان على رفعته ٠٠ فشتان شتان بين ما يداس وما يرفع على الهام ٠ على اننا اذا بحثنا في حالة النبات رأينا ان كثيراً منه قابل للتغيير والاصلاح بواسطة التطعيم والنقل والاعتناء الخ كما ان الكثيرين من الشبان الذين يعيثون في الارض فساداً ونخالهم اليوم اشد وطأة من الضربات العشر يكونون مع التعليم موضوع الاصلاح والتقويم ٠٠

فاذا كنا كلنا اخواناً في الجبلة ، اخواناً في الجامعة العثمانية ، اخواناً في الوطنية فما احرانا ان نكون اخواناً في الحرية ، اخواناً في المحبة ايضاً ، لنتعاون يداً الى يد في رفع شأن الوطن العزيز اسوةً بالامم الراقية كما كتب بولس الى الغلاطيين يقول :

« فانكم انما دُعيتم للحرية ايها الاخوة . غير انه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً » وكما جاء في القرآن الشريف : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداءً فألّف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً ، وكنتم علَى شفا حفرةٍ من النار فانقذكم منها ، كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون »

فالانسان خلق حرّاً مطلقاً على انه مقيد بالواجبات الدينية والانسانية والوطنية . . أُعطي دستور الحرية والعدالة والمساواة ليكون حرّ القلب واللسان عادلاً في اعماله مساوياً لاخوانه في الحقوق قائماً بالفروض المقدسة التي لا يعفى منها احد . . .

فالدستور انما هو ناموس مقدس وعلينا نحن الراتعين في بحابح هذا الدستور ان نثبت فيه اعضاء عاملين مع تعزيزه والذود عنه بدمائنا . . ولنتصرّف تصرف ابناء النور . . تصرُّف السامعين المبتهجين العاملين بكلمة فيه . . كما قال يعقوب الرسول :

« ولكن من اطلع علَى الناموس الكامل ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعاً ناسياً بل عاملاً بالكلمة فهذا يكون مغبوطاً في عمله » . . فاذا قد نشطنا نحن من قيود الاستبداد ودخلنا في طور جديد من الحياة فلنسعَ السعي الحثيث ولنطرح اعمال الظلمة . . ولنتدرب على عيشة التعاون والمحبة والمسالمة فانها وايم الاخاء ربيع دائم ونبراس للفضيلة وعون للأدب وسعادة للانسانية ليزهو الانسان في الربيع . . ويزهر الربيع باعمال الانسان تمجيداً للكبير المتعال وقياماً بالواجب المقدس فتنمو الفضيلة ويقمر الاخاء وتثمر العدالة وتثبت المحبة وتذوق البشرية ثمار التساهل والسلام في ظل العدالة

قصائد الانقلاب الاخير

قال احمد شوقي بك شاعر الحضرة الخدوية :

عبرة الدهر

سل «يلدزاً» ذات القصور   هل جاءها نبأُ البدور
لو تستطيع اجابةً   لبّتك بالدمع الغزيرِ
اخنى عليها ما انا   خ على الخورنق والسديرِ
ودها «الجزيرة» بعد اسماعيل والملك الكبير
ذهب الجميع فلا القصو   ر تُرى ولا اهل القصور
فلكٌ يدورُ سعودهُ   ونحوسهُ بيد المدير
اين الاوانس في ذرا   ها من ملائكة وحور
المترعات من النعيـ   م الراويات من السرور
العاثرات من الدلا   ل الناهضات من الغرور
الآمرات على الولا   ة الناهيات على «الصدور»
الناعمات الطيبا   ت العَرف امثال الزهور
الذاهلات عن الزما   ن بنشوة العيش النضير
المشرفات وما انتقلا   ن على الممالك والبحور
من كل «بلقيس» علَى   كرسيٍّ عزتها الوثير
امضى نفوذاً من «زبيـ   دة» في الامارة والامير
بين الرفارف والمشا   رف والزخارف والحرير
والروض في حجم الدنا   والبحر في حجم الغدير

والدرُّ مؤتلق السنا والمسك فيَّاحُ العبير
في مسكن فوق السما ك وفوق غارات المغير
بين المعاقل والقنا والخيل والجمّ الغفير
يسموه « يلدز » والافو ل نهاية « النجم » المنير

***

دارت عليهنَّ الدوا ئر في المخادع والخدور
أمسينَ في رقّ القبيـ ـل وبتنَ في أسر العشير
ما ينتهين من الصلا ة ضراعةً ومن النذور
يطلبنَ نصرة ربهـ ـنَّ وربهنَّ بلا نصير
صبغ السواد حبيرهـ ـنَّ وكان من يَقِقِ الحبور
انا ان عجزتُ فان في بردي اشعر من « جرير »
خطب « الامام » على النظيـ ـم يعزُّ شرحاً والنثير
عظة الملوك وعبرة الـ أيام في الزمن الاخير
شيخ الملوك وان تضعـ ـضع في الفؤاد وفي الضمير
نستغفر المولى لهُ والله يعفو عن كثير (١)
ونراه عند مصابه أولى ببالك او عذير
ونصونهُ ونجلُّه بين الشماتة والنكير (٢)
« عبد الحميد » حساب مثـ ـلك في يد الملك الغفور

(١) ان الله يعفو عن كثير ان كانت الذنوب مما يتعلق بحقه أمّاً ما يتعلق بحق الغير فلا يعفو عنه الا اذا اسقطه صاحبه ، ولا نخال ان فظائع عبد الحميد التي لا تُحصى يغفرها من أسال دماءهم وأيّم نساءهم ويتّم اطفالهم ....

(٢) مثل عبد الحميد لا يُجلُّ ولا يحترم ، وهل يُحترم طاغية ملأ الدنيا سيئات وفساداً ؟ ان هذا لشيءٌ عجاب ..

سدت «الثلاثين» الطوا ل ولسن بالحكم القصير
تنهى وتأمر ما بدا لك في الكبير وفي الصغير
لا تستشير وفي الحمى عدد الكواكب من «مشير»
كم سبحوا لك في الروا ح وألهوك لدى البكور
ورأيتهم لك سجداً كسجود «موسى» في الحضور
خفضوا الرؤوس ووتروا بالذل اقواس الظهور
ماذا دهاك من الامو ر وكنت داهية الامور
ما كنت ان حدثت وجلـ ت بالجزوع ولا العثور
اين الرويّة والانا ة وحكمة الشيخ الخبير
ان القضاء اذا رمى دكّ القواعد من «ثبير»
دخلوا السرير عليـ ك يحتكمون في رب السرير
أعظم بهم من آسريـ ن وبالخليفة من اسير
اسدٌ هصور أنشب الـ أظفار في اسد هصور
قالوا أعتزل قلت اعتزا ت – الحكم لله القدير
صبروا لدولتك السنيـ ن وماصبرت سوى شهور
أوذيت من دستورهم وحننت للحكم العسير
وغضبت «كالمنصور» او «هارون» في خالي العصور
ضنّوا بضائع حقهم وضننت بالدنيا الغرور
هلاّ احتفظت به احتفا ظ مرحّب فرح قرير
هو حلية الملك الرشيـ د وعصمة الملك الغرير
وبه يبارك في المما لك والملوك على الدهور

***

يا ايها الجيش الذي لا بالدعيّ ولا الفخور
يخفى فان ريع الحمى لفت البرية بالظهور
كالليث يُسرف في الفعا ل وليس يَسرف في الزئير
الخاطب العلياء بالـ ارواح غالية المهور
عند المهيمن ماجرى في الحق من دمك الطهور
يتلو الزمان صحيفة غراء مذهبة السطور
في مدح «انورك» الجريء وفي «نيازيك» الجسور
«يا شوكت» الاسلام بل يا فاتح البلد العسير
وابنَ الأكارم من بني «عمر» الكريم على «البشير»
القابضين على الصليـ ل لجدّهم وعلى الصرير
هل كان جدُّك في ردا ئك يوم زحفك والكرور
فقنصت صيَّاد الاسو د وصدت قنَّاص النسور
واخذت «يلدز» عَنوة وملكت عنقاء الثغور

***

المؤمنون «بمصر» يهـ دون السلام الى الامير
ويبايعونك يا «محمـ د» في الضمائر والصدور
قد أملوا لهلالهم حظ الاهلة في المسير
فابلغ به اوج الكما ل بقوة الله النصير
انت الكبير يقلدو نك سيف «عثمان» الكبير
شيخ الغزاة الفاتحـ ين حسامه شيخ الذكور
يمضي ويغمد بالهدى فكأنه سيف «النذير»
بشرى الامام محمد بخلافة الله القدير

بشرى الخلافة بالاما م العادل النزهِ الجدير
الباعث «الدستور» في الا إسلام من حُفَر القبور
اودى «معاوية» به وبعثته قبل النشور
فعلى الخلافة منكما نور تلألأ فوق نور

وقال بلبل بغداد معروف افندي الرصافي نزيل استانة :

في سلانيك [1]

لقد سمعوا من الوطن الانينا فضجوا بالبكاء له حنينا
وناداهم لنصرته فقاموا جميعاً للدفاع مسآحينا
وثاروا من مرابضهم اسوداً بصوت الاتحاد مزمجرينا
شباب كالصوارم في مضاء يُرون وكالشموس منوّرينا
«سلانيك» الفتاة حوت ثراءً بهم فقضت عن الوطن الديونا
لقد جمعوا الجموع فمن نصارى ومن هود ومسلمينا
فكانوا الجيش أُلِف من جنود مجنّدة ومن متطوعينا
تراهم فيه متحدين عزماً وما هم فيه متحدين دينا
هي الاوطان تجعل في بنيها إخاءً في محبتها رصينا
وتتركهم أولي أَنَفٍ كباراً يرون حياة ذي ذل جنونا
وان الموت خير من حياة يظل المرء فيها مستكينا

***

مشوا والوالدات مشيعاتٌ خرجن وراءهم والوالدونا
يقلن وهنَّ من فرح بواكٍ وهم من حزنهم متبسمونا

(١) نشرتها جريدة المقتبس التي تصدر عن دمشق

عَلَى الباغين منتصرين سيروا وعودوا للديار مظفَّرينا
ولا تبقوا الذين قد استبدوا وراموا كيدنا وتخوَّنونا
فان لم تُنقذوا الاوطان منهم فلستم يا بنين لنا بنينا
فقد هاجوا عَلَى الدستور شرًّا بدار الملك كي يستعبدونا
هم الاشرار باسم الدين قاموا فعاثوا في المواطن مفسدينا
فما تركوا من الدستور «شورى» ولا ابقوا لنغمته «طنينا»

***

وكم قد قلنَ من قول شجيّ لهم فتركنهم متهيجينا
ومذ حان الوداع دنونَ منهم فقبلنا الصوارم والجفونا
وما انسى التي برزت وقالت وقد لفتوا لرؤيتها العيونا
الا يا راحلين لحرب قوم لئام ضيعوا الوطن الثمينا
خذوني للوغى معكم خذوني ممرِّضة لجرحاكم حَنونا
وان لم تفعلوا فخذوا ردائي به شدوا الجروح اذا دمينا

***

ولما جدَّ جدُّهم استقلُّوا عَلَى ظهر القطار مسافرينا
فطاروا في مراكبه سراعاً باجنحة البخار مرفرفينا
وظل الجيش صبحاً او مساء تسير جموعه متتابعينا
فلم يتصرّم الاسبوع الاَّ وهم بربى «فروق» مخيمونا
هنالك قمت مرتحلاً اليهم لأُبصر ما أُؤمل ان يكونا

***

وباخرة علت في البحر حتى حكت بعبابه الحصن الحصينا
يؤثّر جريها في البحر إثراً تكاد به تظن الماء طينا

فتترك خلفها خطاً مديداً　　بوجه البحر يمكث مستبينا
ركبتُ بها على أسم الله بحراً　　غدا بسكون لجته رهينا
فرحنا منه ننظر في جمالٍ　　يعزُّ عَلَى الطبيعة ان يهونا
ومرأى البحر احسن كل شيء　　اذا لبست غواربه السكونا
كأنك منه تنظر في سماء　　وقد طلعت كواكبها سفينا

***

أتينا دار «قسطنطين» صبحاً　　وقد فتحت لهم فتحاً مبينا
وظل الجيش جيش الله يشفي　　بجد سيوفه الداء الدفينا
فأرهق انفس الطاغين حتى　　سقاهم من عدالته المنونا
وردَّ الخائنين الى جزاء　　أحلَّهم المقابر والسجونا
وحطوا قصر «يلدز» عن سماء　　له فانحطَّ اسفل سافلينا
واصبح خاشع البنيان يُغضي　　عيوناً عن تطاوله عمينا
خلا من ساكنيه وحارسيه　　فلم ترَ فيه من احد قطينا
هوى «عبد الحميد» به هُوِيًّا　　الى درك الملوك الظالمينا
فأُنزل عن سرير الملك خلعاً　　وأُفرد لا نديم ولا قرينا
وسيق الى سلانيك احتباساً　　له كي يستريح بها مصونا
ولكن كيف راحة مستبدٍّ　　غدا بديار احرار سجينا
يراهم حول مسكنه سياجاً　　ويعجز ان يُنيم لهم عيونا
وموت المرء خير من مقام　　له بين الذين سقوه هونا

***

لقد نقض اليمين وخان فيها　　فذاق جزاء من نقض اليمينا
وقد كانت به البلدان تشقى　　شقاءً من تجبره مهينا

فكم اذكى بها نيران ظلم ... وكم من اهلها قتل المئينا
وكان يدير من سفهٍ رحاها ... بجعجعةٍ ولم يرها طحينا
وقد كانت به الايام تمضي ... شهوراً والشهور مضت سنينا
ولما ضاق صدر الملك يأساً ... وصار يردّدُ الوطن الانينا
اتى الجيش الجليل له مغيثاً ... فصدّق من بني الوطن الظنونا
واضحى سيف قائده المفدى ... على الدستور محتفظاً امينا
حماه من العداة فكان منه ... مكان الليث اذ يحمي العرينا
وأسقط ذلك الجبار قهراً ... وأنبأه بصارمه اليقينا
فقرّت اعين الدستور امناً ... وشاهت اوجه المتمردينا

وقال منشئ « النبراس » :

الفوز المبين

بلغنا المنى فالجيش سعد كوكبهْ ... وسدنا فرهط الشر ولّت عصائبهْ
ونادى بشير النُّجح في كل بلدةٍ ... فضاقت على حزب الفساد مذاهبه
وسار طريداً في البلاد مشرَّداً ... ومن لم يسرْ فالحبل للموت جاذبه
ومن لاذ منهم بالفرار من الردى ... شريداً فان الموت لاشكَّ طالبه

***

قضى الله أنَّ الحق ان نام برهةً ... فلا بدَّ يوماً أن تهبَّ كتائبه
ونقضي علَى اهل الضلال قضاءَها ... وتهدم صرحاً عزَّ بالجور جانبه
فلا يغترر ْ بالبطش من كان ظالماً ... فان عيون العدل يقظى تراقبه
تمالئُهُ حتى اذا بصُرتْ به ... وقد شُدَّ منها عَضْدها فتحاربه

فلا حصن يُؤْويه ولا مال نافع ولا جيش يحميهِ ولامن يصاحبهْ
فيمسي ذليلاً بعد أن كان سيداً ويُصبح والأرزاء غضبى تناصبه
اسير بايدي العدل رهنَ غضاضةٍ ومن يعتززْ بالجور ساءت عواقبه

***

قضى الله أنَّ البغي يصرع اهله ويُوردهم وِرداً تمرُّ مشاربه
ويقتادهم مثل النعاج الى الردي فلا احد تحميه منه مناصبه
اذا واحد منهم رأى همَّ غيره تهون عليه عند ذاك مصائبه
فقل لأُناس ضيَّعوا الوطن الذي بارواحنا نفديه والله راقبه
اردتم لنا كيداً فبؤتم بمثله وهيأتمُ سماً فمن كان شاربه ؟
ورمتم بنا شراً فنال رجالكم وجزَّت رقابَ المفسدين قواضبه
الا كلُّ من يُلقي شراكاً من الاذى هوى فيه إنَّ الشرَّ يلقاه ناصبه

***

رويدك يا عبد الحميد اما كفى دمٌ لم تزل حزناً ترنُّ نوادبه
لقد كنت قبل اليوم تفعل ماتشا كأنَّ الورى «هرٌّ» لديك تلاعبه
فتأمر بالاغراق والسجن تارة وبالنفي أخرى حسبما انت راغبه
وبالذبح احياناً وبالسمِّ ان يكن عدوُّك ذا بأس يروعك قاضبه
فلم يكُ الازعنف الناس راقياً لديك وذو العقل الرجيح تجانبه
وتقضي عليه مااُستطعت فنضَّبت عيون العلى والفضل ضاقت مراحبهُ
وأمحل ربع العلم والجهل اخصبت منابته والجور سادت عصائبه
وفرَّت من البلدان أسد عرينها ولم يبقَ الا الظالم تسطو ثعالبه
فمدَّت لها الاغيار تنقصها يداً كما النسر مُدَّت للطيور مخالبه
وانت امروءٌ لم يُلههِ غير غادةٍ يداعبها في قصره وتداعبه

اذا أُنتُزعت منهُ بلاد كثيرة · تُسلّيهِ عن فقد البلاد كواعبهُ
فملكك للاغيار نهب مقسَّمٌ · وما لُك في سُبْل الاذى انت واهبه
فلستَ لهذا الملك كفوءاً يديره · وأعدى عدوّ الملك من لايناسبه
فانتَ عدوٌّ « داخليٌّ » مخرّبٌ · فطورا تصافيه وطورا تُواثبهُ

***

الم يأنِ أن ترضى بما كان بعد ما · تناسى جميع الناس ما انت كاسبه
بلى لستَ ترضى ان تكون مقيَّداً · وايّ ظلوم لانَ للحق جانبه
هجمت على الدستور والدين هازئاً · وناوأتَ حزباً لا تُباري مقانبه
وزدت على تلك الشرور التي مضت · شروراً لها شاب الوليد ذوائبه
اذا ذُكرت فالكون يرتاع واجماً · وينهلُّ من دمع الخلافة ساكبه
اسلتَ دماء الابرياء خيانةً · لتدعم حكماً قد تداعت جوانبه
فأُسقطتَ لكن لم تزل تطلب العلى · وشرُّك لم تبرح تدبُّ عقاربه
فتباً لسلطانٍ ظلوم غشمشمٍ · وخسراً لملك تزدهيه مآربه
فاين يمين قد حلفتَ معاهداً · فهل حُقّقت للشعب منك رغائبه
اماني كانت ملؤُها الحقد والاذى · وهل من خؤون يدرك السؤلَ طالبه
بها اغترَّ قوم ذو حلومٍ صغيرة · وحاذرها مستيقظ الفكر ثاقبه
وقال أرقبوا شيخاً تربَّى على الاذى · متى شاء تُطغي الادنياء مواهبه
فان هو الا حية لان لمسها · ومن يدنُ منها ساورتهُ نوائبه
ولكنَّ قوماً لاتزال نفوسهم · بها خَوَر تسطو عليهم غياهبه
يثورون إما قال فيه اخو نهى · مقالة حرٍّ لم يهوّره خالبه
وقوماً رشاهم بالدنانير فازدهوا · واصداؤهم من كل صوب تجاوبه
وهاجوا على حزب الترقي وأجلبوا · بخيلهمُ كالبحر جاشت غواربه

ولكنَّ حزب الله ان صال صولةً على كل حزب فهو لا شك غالبه

***

فدى لك يا محمود شوكة عصبة فسيفك طابت في طُلاهم مضاربه
وحبلك ألفى في رقابهم مدى فكل بني الرُّجعى وحقِّك راهبه
لئن طوق الاعناقَ حبلٌ مددته فقد طوَّق الاجيادَ بالفضل صاحبه
وما انسَ لا أنسى نيازي وانوراً ورهطاً لنصر الحق ماجت مواكبه
فكلهمُ شهم غيور اخو حجى تلوح بظلماء الخطوب كواكبه
هم اكتسبوا المجد الصحيح بجدّهم «الا هكذا فليكسب المجدَ كاسبه»
همُ ارجعوا عهد الخلافة طاهراً نرى الملك فيه ظاهراً ونخاطبه
همُ خلعوا عبد الحميد فأصلحوا بذاك بناءً افسدته مثالبه
همُ نشروا رايَ «الرشاد» لنهتدي بها بعدما سُدَّت طويلاً مذاهبه
فاهلاً بسلطان «الرشاد» محمدٍ وبشرى لنا فالخير تهمي سحائبه

***

اذا كان ذاك العصرُ عصرَ تقهقرٍ كثيراً مخازيه وجماً عجائبه
فعهد «رشادٍ» كاسمه لا نخاله سوى البدر لم يحجبه في الافق «حاجبه»
فلا زال خفَّاق اللوء مظفراً تثلُّ عروشَ الظالمين كتائبه
ولا برحت ايامه مستهلةً ولا انفكَّ بالدستور يعتزُّ جانبه

عهد التمجيد

او والي بيروت واخصاؤه

الحقيقة لا تزال ضائعة وقليل من ينشدها و يبحث عنها ، وهي مغشاة بترهات المفسدين ، وتلفيقات المستبدين، لكننا ان لم نجدها اليوم فسنجدها بعد حين ، اذ ليس من المعقول بعد بزوغ شمس الدستور ان تبقى يد الاسافل والمستبدين تعيث في الارض

الفساد ، وتنشر شرها على البلاد ، وتهضم حق ضعاف العباد ، وتجاهد في سبيل السيطرة عليهم ايما جهاد ، وتود لو تبقى على ما هي عليه الى يوم التناد ، وان دون ما ترجوه خرط القتاد ، فلا بد ان يجعلوا كامس الدابر ، وتُثل عروشهم ، وتتزلزل اركانهم ، فيكونوا مع الهالكين ، فان لم يكن ذلك اليوم فبعد حين ، فلينتظروا انا معهم من المنتظرين

ان بقية غير صالحة من رجال الدور الماضي لم تزل جالسة على كراسيها في دوائر الحكومة ، تُرشي فتظلم ، وتحكم بما لم يأمر به شرع ولا قانون ، فحالها اليوم كحالها بالامس لم يتغير فيها شيء حقيقي ، ولم تتميز عن الدور الماضي بسوى الظاهر ، فقد كانت تستبد في الايام المظلمة باسم الاستبداد ، وهي اليوم تمشي في الطريق نفسها باسم الحرية

وقد اجمع انصار الدستور والمتفانون بحب الدور الجديد على ان لا صلاح للحكومة ولا نجاح للدولة الا بطرد هؤلاء الخائنين بقية الدولة المظلمة البائدة ، ويجب ان لا يقبل لهم عذر ولا يوثق لهم بيمين ، لان من شب على شيء شاب عليه ، ومن تأصلت في نفسه الرذائل ورضع لبن الاستبداد والجاسوسية لا يمكن ان يرجع عما اعتاده ولو غلّظ الايمان واكّد الاقسام ، وها هم قد اقسموا كل يمين ثم نقضوها بعد توكيدها ، غير ناظرين الى شرف ولا عابئين بوجدان

لقد غرّتهم الاماني الباطلة ، والاحلام السافلة ، وظنوا ان الامة غافلة عن سيئاتهم ، وما دروا أنّ يد العدل سوف تنالهم وتقطع دابرهم وتضع مكانهم مِن اهل الكفاءة والعدالة والحرية مَن هم ابناء بجدتها وابطال ساحتها — وقد كان الاولى بهؤلاء القوم ان يُقلعوا عن عاداتهم واخلاقهم التي اورثهم اياها الدور الاستبدادي ، ولكن النفوس الخبيثة تأبى ان تكون طاهرة ولا ترضى ان تكون مقيّدة بدين ولا منقادة لقانون

لم تكتفِ هذه الفرقة بما تضيعه من الحقوق وما تطمسه من الدماء وما تبتزّه من مال الرُّشى « جمع رشوة » حتى اضافت الى ذلك سيئة لا تقلّ عن ذلك شراً وزديلة ، الا وهي صنعة الجاسوسية التي ماتت في بلادنا بعد الرابع والعشرين من تموز

ثم بعثروها من قبرها ونشروها في هذه الايام — ومن الغريب ان يُحيوها بعد خلع عبد الحميد الذي انتشرت الجواسيس في عهده انتشار الجراد — ظانين ان هذه الحرفة تروج سوقها و ينالون لاجلها الاوسمة والرتب والاموال ٠٠٠٠ !!

وربما يعجب من القراء من لم يسمع بما كان من امر جريدة المفيد وصاحب هذه المجلة وامر جواسيس والينا ادهم بك او اخصاءه المتفين حوله — وهاك خلاصة القضية :

انتقدت جريدة «المفيد» ماورد في المنشور السلطاني القاضي باعدام محمود بشير قاتل المرحوم مفتي صيداء من الالفاظ الضخمة والصفات الفخمة التي وصف بها الوالي والقاضي وقال : ان هذا التمجيدات الباطلة والتفخيمات الفارغة لا تليق بالدولة الدستورية

وكان اخصاء الوالي والوالي نفسه ممتعضين من صاحب المفيد لانه كان يعرّض بهم وباعمالهم ، وكان يذيق الوالي كل كأس دهاق مترعة ببيان اهماله وانه لا يصلح لادارة شؤون الولاية ، فكان هو واخصاؤه يترقبون للمفيد هفوة او زلة ليوآخذوه بها ، فلما انتقد المنشور السلطاني قاموا وقعدوا وادعوا انه اهان السلطان محمداً الخامس بهذا الانتقاد ، فاوعزوا الى الوالي بان يرفع القضية عليه ففعل ظناً منه انه يشفي بذلك غيظه و يروى غليله ، فلما علم ارباب الصحف ناضلوا عن صاحب المفيد فبرهنوا بذلك على غيرتهم وطيب سريرتهم ، ثم انبرى سبعة عشر محامياً من محامي بيروت وكلهم يطلب ان يكون وكيلاً عن المفيد في الدفاع امام المحاكم فاستحقوا بعملهم هذا كل شكر وثناء

وكان صاحب « النبراس » غائباً عن بيروت فلما حضر وعلم بالامر اخذته الغيرة على حرية الصحافة وعزم على مناصرة صاحب المفيد ، وكان اول ما بدأ به من المناصرة انه نظم اربعة ابيات نشرها في « المفيد » وهي :

مضى زمن التمويه لا رُدَّ عهده ... ومزّق سيف الحق جلبابه البالي

ودُكّتْ صروح بالرياء مشيدة ... وهدم منها الجيش « يلدزها » العالي

فلم يبقَ للتمجيد بالقول دولةٌ ... وليس العلى الا لأحزمَ فعاَّل

فهذي مبادينا بعهد « رشادنا » فما يبتغي منا اذن « حضرة الوالي »

ثم انشأ مقالة مطوّلة في الدفاع عنه واظهر ان الحق في جانبه وان هذه الطنطنات يجب ان تموت بموت الدولة البائدة واسقاط ذلك السلطان المخلوع ، وابان ان الانتقاد لا يكون اهانة للمنقد عليه ، وان القانون يبيح انتقاد السلطان فيما لا يعود على شخصه واعماله الخاصة ، وقضية المفيد هي من الانتقاد العام ، ثم انتقد اشياء في المنشور لم ينتقدها صاحب المفيد ، وقد نشرت هذه المقالة في عددين من اعداد تلك الجريدة الحرة ، ولم تكد تنتشر حتى تلقفتها جواسيس الوالي وادعوا ان فيها اهانة للسلطان ٠٠٠٠٠٠ فكان من ذلك أن رفعت قضية على صاحب هذه المجلة كالقضية التي رفعت على صاحب المفيد ، فلما علمتُ بذلك كتبت في المفيد مقالة تحت عنوان « كنا بواحد صرنا باثنين » انحيت فيها على هؤلاء الجواسيس انحاء شديداً

هذا وان كل من علم باعمال هذه الطغمة المتجسسة الكاذبة الخاسرة لعنهم لعناً كبيراً ، واي عاقل يعلم بقوم يريدون ان يرجعوا عهد الجاسوسية ولا يلعنهم و يقبح اعمالهم

ولما بلغ خبر هذه الدعوى الحرّ المقدام كرامه بك مدير جريدة « الليبرته » الفرنساوية كتب فيها فصلاً دافع فيه عن صاحب « النبراس » واليك ترجمته قال :

« بينا كانت طائفة من انصار الحرية الذين جعلوا نفوسهم فداء وضحية لسلامة الوطن يستشهدون في معارك الاستانة من ايدي الرجعيين قام شاب في مدينة بيروت على شرفة من شرفات نادي الاتحاد والترقي بين الجموع المضطربة ، ورنّ بينهم صوت مستبشر طالباً سقوط ذلك السلطان السفاح الذي اغرق المملكة في بحر من الدماء البريئة

اجل ان الذي كان يهتف بسقوط السلطان الجائر قد جعل نفسه هدفاً للاخطار بنبل واباء دون غرض ذاتي بل طلباً لاعلاء كلمة الوطن ورفعة شأنه

اجل ان هذا الخطيب المقدام هو الشيخ مصطفى الغلاييني الذي دُعي اليوم امام المحكمة لانه انتصر بمقالته لجريدة المفيد الحرّة ، نعم انه دُعي امام محكمة وطنه الذي يسعى جهده لرفعة شأنه وعلو مقامه ووفرة عدله

ليت شعري هل يوجد قاضٍ عثماني يُقدم على الحكم على ذلك الشيخ ؟ ان هذا الامر امر حياة اوعدم لنا

ان الذين نجوا بفضل الجيش من خناجر الطاغين السفاحين هل يقعون تحت سلاح النميمة والمراقبة والوشاية ؟

هل يُحرم الذين طلبوا حرية الوطن من حريتهم ؟ .

يا اهل الثغر انتم تعلمون المدّعي عليه ثم لا يخفى عليكم الباقي ٠٠٠٠

ب ٠ كرامه

هذه هي اعمال الفرقة الحاكمة وجواسيسها اليوم، يترقبون الكتبة واصحاب الجرائد ويتجسسون عليهم ليروا لهم هفوة او سقطة لينتقموا لانفسهم منهم ، ولما لم يجدوا ما يؤخذ به عليهم عمدوا الى التمويه والكذب ورفع الدعاوي الباطلة كما كانوا يفعلون في الزمن البائد ، فحالة اليوم كحالة الأمس لا فرق بينهما الا من حيث الظاهر والاسم، حتى صدق عليهما قول المثل: « ما اشبه الليلة بالبارحه »

كانت الفرقة المتجسسة قد وقفت عند حدها بعد اعلان الدستور ، غير ان والي بيروت قد فتح لها ذلك الباب الذي أغلق في وجهها ومهّد لها سبيل تلك الحرفة السافلة ووسّع لها ميدان التباري في ذلك المضمار ، فاوضح بعمله هذا ما كان يظنه الاحرار فيه وما كان يتحدث به الناس ولو انه والٍ حازم محب للحرية والدستور لأبعد اولئك الأخصاء واعرض ونأى بجانبه عن استماع كلامهم والاصغاء الى تجسسهم ، ولكننا نظن انه هو الذي يأمرهم بنقل احاديث الناس ومـا يكتبه الكتاب ، ثم ان هؤلاء الاخصاء يتفننون في نقل ذلك اليه وترجمته — كل حسب وجدانه وطهارة نفسه او خبثها ....

ايها الوالي ان جلالة السلطان محمد الخامس قد قدم الى الديوان العرفي تقرير رجل اراد ان يتجسس له ليحاكم أمامه بما يستحقه كل جاسوس فهل لك ان تقدّم الى ذلك الديوان تقارير واعمال اخصائك ليحاكموا أمام هذا الديوان العادل وينالوا جزاء خبثهم وتقهقرهم ؟ او هل لك على الاقل ان تطردهم ولا تعبأ بكلامهم ؟ .... ان كنت حرًّا دستوريًّا فافعل كما فعل السلطان الدستوري فيحمدك عند ئذ الاحرار المحبون لترقي الامة والوطن

ولكنك لا تفعل ذلك لان الجرائد وخصوصاً « المفيد » قد نبهتك الى هذا مرارًا وابانت لك سوء المنقلب ان ظللت على هذه الحالـــ ، ولم تلقِ لذلك بالاً

ايها الوالي ان الامة اليوم غيرها في الامس فهي ان رأت منك او من اي حاكم كبيرًا كان او صغيرًا ما يخالف الدستور والحرية فلا بدّ انها تقوم قومة رجل واحد وتنادي باسقاط كل من تجرأ ان يمسّ الحرية ويهين الدستور باعماله المخالفة . فاحذر ذلك اني لك لمن الناصحين

***

هذه هي خلاصة المسألة التي اشتهرت بقضية عهد التمجيد ، وسنكتب للقراء ما يتمّ في هذا الشأن ونوافيهم بالنتيجة متى انتهت المحاكمة ، والسلام عليهم . ثم الوداع لهم الى غرة رمضان المبارك لان المجلة ستحتجب شهري رجب وشعبان كما ذكرنا ذلك في العدد الاول منها، وفقنا الله لخدمتهم واعاننا على القيام بما يفيد الامة والوطن

شوكت باشا

من قصيدة فيه للأمير نسيب ارسلان

محمود شوكت ما غشيت فروقا حتى مهدت من الصواب طريقا
يا من تداركت الخلافة بعد ما امسى بها الخطر الاجل محيقا
بك قد اراد الله ان يمحو البلا ويلمّ شمل الدولة المفروقا
لك عند امتك التي انقذتها فضل يطوّق جيدها تطويقا
انحى عليها الخائنون بكيدهم فرددت سهم اذاهمُ المرشوقا
ما ايمن الحرب التي من نارها احرقت مسكاً من ثناك فتيقا
امطرت من دِيَم المكارم بعدما قدّمت من لمع السيوف بروقا
لما أهنت القصر في شرفاتهِ اكرمت بيتاً في الحجاز عتيقا
بات المتوّج في اسارك عَنوةً سبحان من ترك العزيز رقيقا
ما ضرَّ في عبد الحميد لو انهُ في الامس للدستور كان مطيقا
وله سناء الملك الا انهُ لا يستطيع بان يزجّ غريقا
دنّى اليمين على حياطة ندوة ما كان ذياك اليمين وثيقا
نقض الخليفة عهده ويمينهُ أسفاً وانشأ للمآبر سوقا
ومشى عداة الدين حول سريرهِ يستصرخون لدينهم تلفيقا
هم عصبة الشر الألى بفعالهم قد اغضبوا الخلاق والمخلوقا
فاضربهمُ محمود شوكت ضربة ينسى لديها العاشق المعشوقا
لا يخدعنك وعد خبٍّ منهم هيهات ان يغدو الكذوب صدوقا
نقّب عن الخبثاء طراً بعد ما ادركت منهم يا همام فريقا
ما دوحة الا ومن تحت الثرى تلقى لها مثل الغصون عروقا
من أقحح المسعاة من محض التقى ولدت لديه السعد والتوفيقا